بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

وبعد، فهذا كتاب إحياء علوم الدين للإمام الغزالي رحمه الله تعالى، والكتاب وصاحبه غنيان عن التعريف، فقد طبقت شهرتهما الآفاق، وأفاد منه الخاصة والعامة.

والإمام الغزالي رحمه الله تعالى يعد عمدة عند الفقهاء الشافعية، فهو صاحب الوسيط في المذهب الشافعي الذي عليه اعتماد الشافعية قبل الإمام النووي رحمه الله تعالى، وقد امتن الله عليَّ ووفقني إلى تحقيق الوسيط أنا وأخي الدكتور / أحمد محمود (عليه رحمة الله تعالى)، وقد أخرجنا الكتاب في سبعة أجزاء وطبعته دار السلام بالقاهرة.

وهذا هو كتابه المشهور للعامة والخاصة - وهو إحياء علوم الدين - بذلنا في إخراجه ما قدّره الله لنا من الجهد، حيث تم ضبط جميع أحاديثه ضبطًا كاملاً - وهذه ميزة تنفرد بها طبعتنا هذه إن شاء الله تعالى، وحرصنا أن تكون الآيات من المصحف بالرسم العثماني.

ومن حيث أحاديثه فمعلوم لدى أهل العلم أن الغزالي - رحمه الله تعالى - ليس من المحدثين الذين يميزون بين الضعيف والصحيح، ومن ثم امتلأ الكتاب بطائفة كبيرة من الأحاديث الضعيفة، بل والموضوعة. ولما أدرك الحافظ العراقي رحمه الله (ت ٨٠٦ هـ) ما لكتاب الإحياء من الفوائد في تنقية النفس من شوائب المعاصي، وتهذيبها والارتقاء بها إلى مدارج الكمال، ثم وجد في نفس الحال ما به من الأحاديث التي تحتاج إلى تخريج وتحقيق، اتجه إلى تخريج أحاديث الكتاب والحكم عليها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومن ثَمَّ فقد حرصنا تمامًا على إضافة هذه التخريجات والتحقيقات في الهوامش ومعها أيضًا توثيقاتنا التي قمنا بها لهذه الأحاديث حيث عزونا الحديث برقمه إلى مصدره الذي أشار إليه الحافظ العراقي - مع إضافة تحقيقات الشيخ الألباني - رحمه الله تعالى - لهذه الأحاديث، فكل ما تراه من تصحيح وتضعيف زيادة على ما قاله الحافظ العراقي فهو من كلام الشيخ الألباني.

وننبه أيضًا إلى أن الكتاب - كما هو معلوم بين أهل العلم - به بعض الأشياء الموغلة في التصوف والتي أخذها عليه بعض أهل العلم، وهذه الأشياء يمكن لطالب العلم السلفي الوقوف عليها.

هذا، ونسأل الله الكريم أن يجعل نيتنا خالصة لوجهه الكريم وأن يغفر لنا ذنوبنا، إنه هو البر الرحيم

محمد محمد تامر
كلية دار العلوم - قسم الشريعة
القاهرة/ ت ٢٢١٥٤٥٦
٠١٢/٧٩١٢٠٠٩ / ٠١٢/٤٧٣٨٩٣٦

ترجمة الإمام الغزالي

هو الإمام البارع ذو العلوم الباهرة، والمحاسن المتظاهرة: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي (نسبة إلى مدينة طوس) - يعرف باسم (الغزّالي) بتشديد الزاي لمن ينسبه إلى صناعة الغزل، ويقال له: (الغزالي) بتخفيف الزاي لمن ينسبه إلى (غزالة) من قرى طوس.

لقب بألقاب كثيرة ونُعوت جليلة، فهو الشافعي الثاني، وهو حجة الدين، وزين الدين، والمجدد الخامس في تاريخ الإسلام، وهو حجة الإسلام، وهذا اللقب الأخير ذاع وشاع حتى غلب على الألقاب الأخرى، وقد لُقب به؛ لأنه تمرس بعلوم الفقه، وأصول الدين، والفلسفة والتصوف، وكان همُّه من ذلك كله: الدفاع عن الإسلام، والذب عنه، وبيان بطلان أقوال الفلاسفة والملحدين.

كنيته: أبو حامد، وهي الكنية التي كَنّاه بها غالبُ من ترجموا له؛ برغم أنه لم يُعْقب إلا البنات، وكان له يسمى «حامد» ولكنه مات في طفولته.

ولد الغزالي سنة (٤٥٠هـ) وكان أبوه رجلاً صالحًا محبًا للعلم وأهله، مجالسًا لأهل الصلاح، وقبل وفاته أوصى إلى صديق له من الصوفية بابنيه (محمد وأحمد) وتوفي والده وهو لا يزال صغير السن، فرباهما هذا الرجل على العبادة والعلم، فانقطعا للعلم. ولما شب سافر إلى (نيسابور) ودرس فقه الشافعية على عبد الملك بن عبد الله الجويني الملقب (إمام الحرمين) ولم يزل ملازما له حتى توفي سنة ٤٧٨ هـ، وبعد وفاة أستاذه قصد الوزير نظام الملك وأقام معه زمنًا، فلما أنشأ الوزير المدرسة النظامية في بغداد عينه مدرسًا فيها، فنال شهرة واسعة لفصاحة لسانه، وانصرف إلى دراسة الفلسفة درسًا عميقًا، فطالع كتب الفارابي وابن سينا وألف كتابه (مقاصد الفلاسفة)، وفيه التزم البحث العلمي والحياد التام، ثم ألف بعده كتاب (تهافت الفلاسفة) وفيه أبدى شكوكه في قيمة العلم وبراهينه المنطقية. وفي عام ٤٨٨ هـ خرج من بغداد، وناب عنه أخوه أحمد في التدريس وقصد الحج، فلما رجع توجه إلى الشام وأقام في دمشق مدة ثم انتقل إلى بيت المقدس ثم قصد مصر وأقام في الإسكندرية مدة، ويقال: إنه كان ينوي الركوب في البحر إلى بلاد المغرب للاجتماع بمراكش بالأمير يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، غير أنه رجع عن ذلك حين بلغه وفاة الأمير (ت: ٥٠٠ هـ)، فعاد إلى وطنه (طوس) واشتغل في تأليف الكتب في عدة فنون، فصنف في الفقه كتاب (إحياء علوم الدين) كتاب (الوسيط) و (البسيط) و (الوجيز)، وصنف في أصول الفقه كتاب (المستصفى) وصنف في علم الجدل كتاب (المنحول والمنتحل) وصنف في الفلسفة كتاب (مقاصد الفلاسفة) وكتاب (تهافت الفلاسفة) و (معيار العلم) و (المنقذ من الضلال) و (حقيقة القولين) وألف في الرد على الباطنية (فضائح الباطنية) وبه يرد عليهم ويشهد بفضائل الخليفة العباسي المستظهر بالله (ت: ٥١٢ هـ) والمعروف باسم كتاب (المستظهري). ثم دعي للتدريس في المدرسة النظامية بنيسابور فأجاب، ولم تطل إقامته فيها، وما لبث أن عاد إلى وطنه واتخذ مكانًا (خانقاه) للصوفية ومدرسة للمشتغلين بالعلم في جواره، ووزع أوقاته على أعمال الخير ومجالسة أهل التصوف والتدريس إلى أن توفي في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ بعد حياة مليئة بالعلم والتعليم والدعوة إلى الخير دامت خمسًا وخمسين سنة ودفن بطوس.

وقد أثار قراءة كتابه إحياء علوم الدين في بلاد المغرب موجة من الغضب عند المرابطين، ذلك أن الغزالي قد فضح في كتابه نزعات الفقهاء في دراساتهم والفقهية وحرصهم على الدنيا وطمعهم في الحصول على المناصب الرفيعة وحسدهم للعلماء والزهاد، ولم يكن العلم في نظر الغزالي حرفة كالحرف أو مهنة دنيوية تعود على صاحبها بالربح العاجل وإنما هو (عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى) فاتخذ الفقهاء قرارًا أملوه على السلطان علي بن يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٣ هـ يقضي بإحراق كتب الغزالي

في جميع أنحاء دولة المرابطين، وكان من الطبيعي أن يثور أهل المغرب على هذا التصرف فانبثقت منه ثورة المهدي بن تومرت.

مرتبة الإمام الغزالي الحديثية:

مما لا ريب فيه أن الإمام الغزالي - رحمه الله - قد أحاط بعلوم كثيرة، بل كان رأسًا مقدمًا في كثير منها، ولست في حاجة إلى بيان ذلك؛ فالغزالي أشهر من أن يُعرَّف به عِلْمًا وسعة اطلاع وغوصًا إلى المعاني وإجادة في العلوم. ومع هذا، فلم يقدّر له أن يكون من علماء الحديث رواية ودراية، وقد اتضح هذا الأمر اتضاحًا تامًا في كتابه «إحياء علوم الدين» وكتابه «الوسيط» وهذا الجانب في الإمام الغزالي - أعني عدم كونه من علماء الحديث - من لوازم كونه بشرًا؛ وإلا فمن الذي أحاط بكل العلوم الإسلامية وأجاد فيها كلها إجادة تامة.

ولقد اعترف الإمام الغزالي نفسه بضعفه في هذا العلم حتى قال عن نفسه: «أنا مَزْجيُّ البضاعة في الحديث».

ويقول الإمام ابن الجوزي في صيد الخاطر: «ورأيت في كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ما يدهش من التخليط في الأحاديث والتواريخ».

وينص الإمام ابن تيمية - رحمه الله - على ذلك أيضًا عند كلامه على الإمام الجويني والغزالي، على أنهم «في صناعة الحديث كالعوام».

وهذه المسألة - أعني ضَعْفَ مَنْ غَلَب عليه الاشتغال بالفقه والتعمق فيه، في علم الحديث - يبدو أنها سمة عامة في كثير من الفقهاء، وليست خاصّة بالجويني والغزالي تلميذه؛ ولذلك حرص علماء الحديث على بيان هذا الأمر؛ لئلا يَغْتَرَّ مَنْ يطالع كتب الفقهاء بما يوردونه من الأحاديث فيأخذها على أنها أحاديث صحيحة.

انظر في ترجمته: وفيات الأعيان ٤ / ٦١٢ - البداية والنهاية ١٢ / ١٧٣ - النجوم الزاهرة ٥ / ٢٠٣ - الوافي بالوفيات ١ / ٢٧٤ - العبر ٤ / ١٠. ابن الأثير ١٠ / ٤٩١ - كشف الظنون ص / ٢٠٠٢، ٢٠٠٨ - الأعلام ٧ / ٢٤٧ - مقدمة الدكتور جميل صليبا على كتاب المنقذ من الضلال - مقدمة الدكتور عبد الرحمن بدوي على كتاب فضائح الباطنية - زيدان ٣ / ١٠٥ - - قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الرابع ص / ٣٦٢ - ٣٦٧ المغرب الكبير ٢ / ٧٤٤ - ٧٤٥

* * *

ترجمة الحافظ العراقي

هو زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، المعروف بالحافظ العراقي. من كبار حفّاظ الحديث. أصله من الكرد، ولد في جمادى الأولى، وتحول صغيرًا مع أبيه إلى مصر فتعلم ونبغ فيها وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين وعاد إلى مصر فتوفي في القاهرة في ٢ شعبان سنة (٨٠٦) عن ٨١ عامًا.

من كتبه: (المغني) في تخرج أحاديث الإحياء و (نُكَتُ منهاج البيضاوي) في الأصول و (الألفية) في مصطلح الحديث و (فتح المغيث) في أصول الفقه، و (الألفية) في غريب القرآن و (القرب في محبة العرب) و(ذيل على ذيل العبر للذهبي) و(معجم) ترجم به جماعة من أهل القرن الثامن للهجرة، وغير ذلك من مخطوط ومطبوع.

انظر في ترجمته: الضوء اللامع (٤/ ١٧١)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٠٤)، النجوم الزاهرة (١٣/ ٢٤)، شذرات الذهب (٧/ ٥٦)، الأعلام (٣/ ٣٤٤).

مقدمة الإمام الغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولاً حمدًا كثيرًا متواليًا، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين.

وأصلي وأسلم على رسله ثانيًا صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين.

وأستخيره تعالى ثالثًا فيما انبعث عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين.

وانتدب لقطع تعجبك رابعًا أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين، المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين؛ فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق: ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل، والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب، وتداركًا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يائسا عن تمام حاجتك في الحيرة وانحيازًا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه» (١).

ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل بأن الأمر إذ والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد، وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد: فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان، وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفًا، فصار يرى المعروف منكرًا والمنكر معروفًا حتى ظل علم الدين مندرسًا، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسًا، ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه: فقهًا وحكمة وعلمًا وضياء ونورًا وهداية ورشدًا فقد أصبح من بين الخلق مطويًا وصار نسيًا منسيًا.

ولما كان هذا ثلمًا في الدين ملمًا وخطبًا مدلهما، رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهمًا إحياء لعلوم الدين وكشفًا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحًا لمباهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين.

وقد أسسته على أربعة أرباع وهي: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات.

وصدرت الجملة بكتاب العلم؛ لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم» (٢).

---

(١) ضعيف جدًا: حديث «أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه» رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف. [انظر الضعيفة ١٦٣٤].

(٢) صحيح: حديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم» رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما. [ابن ماجه: ٢٢٤، وانظر صحيح الجامع الصغير: ٣٩١٣].

وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال ﷺ: «نعوذ بالله من علم لا ينفع» [١] وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب، وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب.

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب:

كتاب العلم، وكتاب قواعد العقائد، وكتاب أسرار الطهارة، وكتاب أسرار الصلاة، وكتاب أسرار الزكاة، وكتاب أسرار الصيام، وكتاب أسرار الحج، وكتاب آداب تلاوة القرآن، وكتاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب:

كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.

وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب:

كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.

وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب:

كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت.

فأما ربع العبادات: فأذكر فيه خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه، وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات.

وأما ربع العادات: فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين.

وأما ربع المهلكات: فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حدّه وحقيقته، ثم أذكر سببه الذي منه يتولد، ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار.

وأما ربع المنجيات: فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل.

ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبًا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:

الأول: حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه. **الثاني**: ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه.
الثالث: إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه. **الرابع**: حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه.

---

(١) **حسن**: حديث «نعوذ بالله من علم لا ينفع» رواه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن. [ابن ماجه: ٣٨٤٣، ورواه مسلم: ٢٧٢٢، بلفظ: «اللهم إني أعوذ من علم لا ينفع»، من حديث زيد بن أرقم مرفوعًا].

الخامس : تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرّد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب، أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويًا لمجامع هذه العلوم.

وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران:

أحدهما : وهو الباعث الأصلي - أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه.

وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال - والعلماء ورثة الأنبياء - فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعنى العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن. والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

الباعث الثاني : أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج به الأجساد وهي معرضة بالضرورة للفساد في أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد.

* * *

كتاب العلم

وفيه سبعة أبواب

الباب الأول: في فضل العلم والتعليم والتعلم.

الباب الثاني: في فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا.

مقدمة الحافظ العراقي

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها، وأعيا فُهُومَ الملحدين عن دَرَكها فرجعت بِكَلالها، أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها؛ وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعِضالها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً وافية بحصول الدرجات وظلالها، واقية من حلول الدركات وأهوالها، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي أطلع به فَجْرَ الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها، وأسمع به وَقْرَ الآذان، وجلا به زين القلوب بصقالها، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها.

(وبعد)...

فلما وفق الله تعالى لإكمال الكلام على أحاديث «إحياء علوم الدين» في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرتُ تبييضه إلى سنة ستين، فظفرتُ بكثير مما عزب عني عِلْمُه ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمُه وأنا مع ذلك متباطئ في إكماله غير معترض لتركه وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه، وتكرّر السؤال من جماعة في إكماله فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته غاية الاختصار ليسهل تحصيلُه وحَمْلُه في الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مَخْرَجِه فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل عند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأُبَيِّنُ ما ليس له أصل في كتب الأصول والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤول.

فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه، وإلا عزوته إلى من خَرَّجَه من بقية الستة، وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب التزم مخرجُه الصحةَ أو يكون أقرَب إلى لفظِه في «الإحياء» وحيث كرر المصنف ذِكْرَ الحديث، فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانيًا وثالثًا لغرض أو لذهول عن كونه تقدَّم، وإنْ كرره في باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمِه لذهول عنه، وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات، وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرتُ ما يُغْني عنه غالبًا وربما لم أذكره.

وسميته: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار: في تخريج ما في الإحياء من الأخبار» جعله الله خالصًا لوجهه الكريم ووسيلةً إلى النعيم المقيم.

الباب الثالث : فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منها، وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره.

الباب الرابع : في آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل.

الباب الخامس : في آداب المعلم والمتعلم.

الباب السادس : في آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة.

الباب السابع : في العقل وفضله وأقسامه وما جاء فيه من الأخبار.

الباب الأول في فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل

فضيلة العلم

شواهدها من القرآن قوله عز وجل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾[آل عمران :١٨] فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة، وثلّث بأهل العلم؛ وناهيك بهذا شرفًا وفضلًا وجلاء ونبلًا.

وقال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[المجادلة :١١] قال ابن عباس رضي الله عنهما: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام.

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر :٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[فاطر :٢٨] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾[الرعد :٤٣] وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ﴾[النمل :٤٠] تنبيهًا على أنه اقتدر بقوة العلم.

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[القصص :٨٠] بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت :٤٣] .

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء :٨٣] ردّ حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله.

وقيل في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ﴾[الأعراف :٢٦] يعني العلم ﴿وَرِيشًا﴾ يعني اليقين ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يعني الحياء.

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾[الأعراف :٥٢] وقال تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾[الأعراف :٧] .